

"كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، قبل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون، قل صدق الله، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم".

وقد سمعوا من قبل في هذا الشأن من سورة البقرة: "و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم".

فهذا شأن الطعام كان حلا لبني إسرائيل، وهذا دين إبراهيم كان هو الإسلام، وهذه هي الكعبة رفع إبراهيم قواعدها واسماعيل، وطهرها للطائفين والعاكفين والركع السجود، وهذا محمد بن عبد الله هو دعوة أبيه إبراهيم "و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين" هذا ما تناولته السورة في تقرير المقصد الأول، ومعالجة أفانين حيلهم وشبههم فيه

وبينما كانت السورة تقرر هذا المقصد على هذا النحو الذي شرحنا؛ كانت تعرض في الأثناء إلى بيان العلة التي تستحوذ على قلوب الناس، وتستولى على عقولهم فتحل بينهم وبين اعتناق الحق والعمل بالحق، وهذا هو المقصد الثاني للسورة، ترده إلى شيء واحد هو الغرور بما لهم من أموال وأولاد، وسلطان وجاه، فقد كانوا يتصورن أن إيمانهم بصاحب الدعوة الجديدة زلزلة لما لهم من جاه وسلطان، وأنهم في غنى عن هذه الدعوة بما لهم من أموال وأولاد، ويظنون أن ذلك كان لهم عن استحقاق ذاتي، وأنه دائم لا يزول، ولا يؤثرفيه إيمان